الإسرائيليات في كتب التفسير وقدسية القرآن الكريم

أ.د عبد القادر بخوش
جـامعة قطـر

الملخص:

الإسرائيليات جَمْعٌ مُفْرده إسرائيلية؛ وهي رواية أو حادثة تُرْوى عن مَصْدر إسرائيلي؛ و إسرائيل ، تتسع الإسرائيليات لتشمل كل ما يقتبس من الإنجيل، بالرغم من أن لَفْظ (الإسرائيليات) لا ينطبق على ما ينقل من الإنجيل؛ فالإسرائيليات نسبة إلى بني إسرائيل وهم اليهود، وهذا خلافُ لما دأب عليه المفسرون ؛ لأنهم يدرجون ما يُنقل من الإنجيل في الإسرائيليات.

ويبدو أن إطلاق بأن الإسرائيليات على ما مَصْدره مسيحي هو أنَّ الغالب منها مقتبس من الكتب المقدسة لبني إسرائيل، وأن ما نفذ إلى كُتُب التفسير من المسيحيات هو شيء قليل بالنِّسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات .

تعتمد الإسرائيليات أساسا على حمل كلام الله ما لا يحتمل من حث المفاهيم والمعاني، وذلك باختلاف قصص وخرافات مصدرها الكتاب المقدس، وإسقاطها في تفسير آيات القرآن الكريم.

وقد بلغت خطورتُها أن أضحت ملازمة لشرح معاني القرآن الكريم لا تنفك عنه، حتى لا تكاد تخلو أمهات كتب التفسير منها.

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على خطورة إشاعة هذه الإسرائيليات بدون ضوابط لتحدث اضطرابا وشكا في أسس العقيدة الإسلامية، وبخاصة أن هذا التأثير الخطير امتد إلى ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات اللاتينية.

Abstract

"Israelites" are those or events from Jews sources .

It encompasses what is taken from neo-testament even though the term "Israelites" doesn't correspond to what is written in the

gospel as Jews people involve most of it from Christian sources in spite of the fact that it contains less

heresies; “Israelites” consist above all to overcharge Allah’s words beyond its real meaning .

Therefore, the particularly dangerous nature is in the exegesis of Quran terms. However, this paper casts light on the dangerous aspect of spreading “Israelites” lays emphasis on Islamic dogmas.

Islamic heresies to sacred scriptures, Quran Latin translations and texts exegesis.

تعريف الإسرائيليات:

الإسرائيليات جَمْعٌ مُفْرده إسرائيلية؛ وهي قصة أو حادثة تُرْوى عن مَصْدر إسرائيلي؛ والنِّسْبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإليه يُنسب اليهود فيقال: بنو إسرائيل[1].

تتسع الإسرائيليات لتشمل كل ما يُنقل عن الإنجيل، بالرغم من أن لَفْظ (الإسرائيليات) لا ينطبق على ما يؤخذ من الإنجيل؛ إذ الإسرائيليات نسبة إلى بني إسرائيل وهم اليهود، وهذا خلافُ فِعْل المفسرين ؛ لأنهم يَعُدُّون ما يُنقل من الإنجيل من الإسرائيليات.

وساد الاعتقاد عند أغلب الباحثين بأن إطلاق الإسرائيليات على ما مَصْدره نصراني هو أنَّ الكثير منها مقتبس من أسفار بني إسرائيل، وأن ما تسرب إلى كُتُب التفسير من المسيحيات هو شيء قليل بالنِّسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات ولا يكاد يقارن بها[2].

تعتمد الإسرائيليات أساسا على حمل كلام الله ما لا يحتمل من حث المفاهيم والمعاني، وذلك باختلاف قصص وخرافات مصدرها الكتاب المقدس، وإسقاطها في تفسير آيات القرآن الكريم.

وقد بلغت خطورتُها أن أضحت ملازمة لشرح معاني القرآن الكريم لا تنفك عنه، حتى لا تكاد تخلو أمهات كتب التفسير منها. وقد أماط اللثام الشيخ **محمد حسين الذهبي** عن أخطارها بقوله: «غير أن القرآن على صفائه ونقائه، والسنة على سلامتها وصحتها لم

1- الإسرائيليات والموضوعات في التفسير والحديث ص 13 .

2- ينظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة : 14.

يسلما من عبث العابثين، فإذا القرآن وقد تسربت إليه أفهام سقيمة، وشرح الكثير من نصوصه بما لا يتفق والغرض الذي نزل من أجله، وإذا بالسنة قد تطرق إليها الدخيل، والتبس الصحيح منها بالعليل. وكان الدافع لهذا كله أغراض سيئة، وأحقاد ملأت قلوب الحاقدين على الإسلام والمسلمين»[3].

مما لاشك فيه أن البدايات الأولى للإسرائيليات نشأت في بيئة إسلامية، قد تردت في حمأة الفتنة والشقاق، فقد ضعفت هيبة الخلافة، واشتغل المسلمون بالفتن الداخلية، فغفلت بذلك عين الرقيب، مما كان منفذا للأفكار والعقائد اليهودية إلى تفسير القرآن الكريم[4].

أسهمت الإسرائيليات بقسط وافر في محاولاتها لزعزعة قدسية القرآن الكريم على أكثر من صعيد.

أولا: أفلحت الإسرائيليات في أن تجعل من المسلمين أنفسهم يتلهفون لنقل أخبار التوراة، وأحيانا يقدمون هذه المرويات عن أخبار القرآن الكريم، أو في أقل القليل يقابلون النص القرآني الذي يرونه مجملا أو مبهما بالنص التوراتي الذي يعتبرونه مفصلا صحيحا أصيلا. ويتبعون في ذلك السياق التوراتي في كل ما هو مشترك بين المصدرين. سواء تعلق الأمر بقصة الخليقة أم تاريخ الأنبياء والرسل[5].

تبعا لذلك بدا القرآن وكأنه يفتقد إلى المنهجية المستقلة، حين يتعرض لهذه القضايا، مما حدا بالباحث **حسن يوسف الأطير** أن يصرح بقوله: «تخلف القرآن وتقدمت أساطير التوراة»[6]. وكل هذا مهّد السبيل للتشكيك في خصوبة وثراء القرآن من قبل المستشرقين اليهود، ولذلك يبثون إيحاء ظالما بأن النص القرآني أخذ من المفسرين أكثر مما

---

[3]- الإسرائيليات في التفسير والحديث، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1990م) ص564.

[4]- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ج1، ص212.

[5]- الطبري، التفسير، ج3، ص30.

[6]- البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام، (القاهرة: مكتبة الزهراء، ط1، 1412هـ/1991م) ص7.

أعطاهم، لأنهم أقبلوا عليه وبحوزتهم عقائد وأفكار خاصة، حاولوا تطويع النص القرآني لها، ذلك كل محصول المسلمين من تفسيرهم في زعمهم[7].

ثانيا: عمدت الإسرائيليات إلى الإعلاء من شأن التوراة، باعتبارها الأصل الأول للكتب المقدسة، وانعكس ذلك إيجابا على مكانة اليهود، فقد بلغ شأنُ ممن أسلم منهم أن استهوت المسلمين تفسيراتهم وتعليقاتهم. والمثير للدهشة أن نعثر على روايات لبعض الصحابة والتابعين -إن صحت نسبتها إليهم- مستقاة من التوراة، تتصادم جملة وتفصيلا مع قدسية القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ () رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ () فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ () فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[8].

فقد روى كثير من المفسرين أشهرهم ابن جرير الطبري، والسيوطي في هذا روايات كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين، أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل. ولم يقتصر الأمر على المأثور عن الصحابة والتابعين، بل رفعوا ذلك زورا إلى رسول الله ﷺ[9]. وليس لنا مجال لنقض هذه الفرية، فقد قتلها العلماء بحثا، ونستدل بما كره أشهر المحققين المعاصرين في الإسرائيليات، الأستاذ أبوشهبة حين قال: «إن المرويات في أن الذبيح

إسحاق هي من إسرائيليات أهل الكتاب، وقد نقلها من أسلم منهم، ككعب الأحبار، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين تحسينا للظن بهم، فذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق، وما من كتاب من كتب التفسير والسير والتواريخ إلا ويذكر فيه الخلاف بين

---

[7]- وهذا يتجلى تماما من عنوان كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي" للمستشرق جولدزيهر، الذي أجهد نفسه في كتابه بالكشف عن تمزق مزعوم للنص القرآني.

انظر: محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، (القاهرة: دار التراث، ط1، 1982م) ص72، 73.

[8]- سورة الصافات، آيات 99-113.

[9]- الطبري، التفسير، ج3، ص54.

- السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص281، 282.

السلف في هذا. إلا أن منهم من يعقب ببيان وجه الحق في هذا، ومنهم من لا يعقب اقتناعا أو تسليما بها»[10].

إن هدف أحبار من اليهود من هذا الافتراء يكمن في تلك العداوة المتجذرة من قديم الزمان للنبي العربي، وحتى لا يذهب ذلك إلى النبي وإلى الجنس العربي الذي يؤدي بدوره إلى تلاشي أسطورة شعب الله المختار. والحقيقة أن الذبيح هو إسماعيل υ، وهو الرأي المشهور عند العرب قبل البعثة، نقلوه بالتواتر جيلا عن جيل، بل هو ما أومأت إليه التوراة[11] نفسها[12].

---

[10]- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، 1393هـ/1973م) ص353، 356.

[11]- الأدلة قاطعة من القرآن الكريم ومن التوراة على أن الذبيح هو إسماعيل υ، وليس هو إسحاق. فقد وردت البشارة بإسحاق عقب قصة الذبيح ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ () فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ إلى أن يقول ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة الصافات، آيات 101-112).

فالبشارة بإسحاق قد وردت عقب قصة الذبيح، مما يدل على أن الذبيح هو شخص آخر غير إسحاق.

هذا فضلا عن أن البشارة بإسحاق قد وردت مقترنة بأنه سيعيش حتى يصبح نبيئا من الصالحين. أي أنه ستجاوز مرحلة الصغر. وهذا ما يتناقض مع أمر الله بذبحه وهو صغير، أيعقل أن يبشر الله إبراهيم بأنه سيولد له إسحاق الذي سيكون نبيئا، ثم يأمره بعد ذلك بذبحه، وهو لم يصل بعد إلى مرحلة النبوة؟

بالإضافة إلى أن البشارة بإسحاق قد اقترنت بأنه سيعيش حتى يتزوج وينجب يعقوب، ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (سورة هود، آية 71) فكيف يأمر الله بذبحه قبل أن تتحقق هذه البشارة؟

أما التوراة، فإن النص الوارد فيها والمتعلق بشخصية الذبيح فيفيد بأنه إسماعيل وليس إسحاق. وهذا هو النص "خذ ولدك ووحيدك الذي تحبه "إسحاق". (سفر التكوين، الإصحاح 22، فقرة 2).

وفي نص آخر "إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة..." (سفر التكوين، الإصحاح 22، فقرة 16).

فهذه النصوص الثلاثة تفيد أن الذبيح هو الابن الوحيد لإبراهيم، وإسحاق لم يكن وحيدا لإبراهيم يوما من الأيام. فالتوراة تنص على أن إسحاق قد ولد بعد إسماعيل بأربعة عشر عاما (سفر التكوين، الإصحاح 17، فقرة 16) و(سفر التكوين، الإصحاح 21، فقرة 5)، وتنص على أن إسماعيل قد بقي حيا إلى وفاة إبراهيم، وأنه اشترك مع أخيه إسحاق في دفن أبيهما ببلدة حيرون، (سفر التكوين، الإصحاح 25، فقرة 9)، أما ابن إبراهيم الذي كان وحيدا لأبيه فهو إسماعيل قبل مولد إسحاق.

يتضح من النص الأول التزوير والتحريف، لأن العبارة متناقضة، حيث تثبت بصريح عبارة التوراة نفسها أن إسحاق لم يكن إطلاقا وحيدا لإبراهيم، ويبدو أن هذه العبارة كانت هكذا: خذ ولدك، وحيدك الذي تحبه إسماعيل، ووضع مكانها إسحاق. ولم يفطن إلى أن العبارة تكون بهذه الصورة متناقضة.

انظر: صفوت حامد مبارك، بحوث في الأديان، (القاهرة: محطة المطبعة بالحرم، د.ط، 1986م)، ص129-132.

[12]- المرجع نفسه، ص356، 359.

أما ما نسب عن بعض الصحابة فيما يخاف ذلك، فإن صح سنده إليهم هو من الإسرائيليات التي رواها أهل الكتاب الذي أسلموا، يقول أبو شهبة: «إنها في أصلها دس اليهود، وكذبهم وتحريفهم للنصوص حسدا للعرب، ولبني العرب.. وقد جاز هذا الدس اليهودي على بعض كبار العلماء كابن جرير والقاضي عياض والسهيلي، فذهبوا إلى أنه إسحاق»[13].

ثالثا: أدت خرافات بني إسرائيل إلى صرف الناس عن جوهر القرآن، فحلّ التدبر في آيات القرآن، والانتفاع بعطائه وعظاته، وكست القرآن برداء من الأسطورة والخرافة ليبدو متعارضا في ذلك مع بديهيات العقول، فتزعزع بذلك مكانته في نفوس أتباعه. ومع أنه لا خلاف عند الباحثين المسلمين أن بعض أسانيدها صحيحة أو حسنة إلى بعض الصحابة أو التابعين، ولكن مصدرها باتفاق هو من إسرائيليات اليهود، ومروياتهم. ولذلك نتفق مع أبي شهبة في قوله: «وإن كوانها صحيحة في نسبتها لا ينافي

كونها باطلة في ذاتها، ولو أن الانتصار لمثل هذه الأباطيل يترتب عليه فائدة ما، لغضضنا الطرف عن مثل ذلك، ولما بذلنا غاية الجهد في التنبيه إلى بطلانها، ولكنها فتحت على المسلمين باب شر كبير، يجب أن يغلق»[14].

ومن أمثلة ذلك ما يحكى عن صفة آدم U، من أن رأسه كان يبلغ السحاب فاعتراه لذلك صلع، ولما هبط على الأرض بكى على الجنة، حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن[15].

---

[13]- المرجع نفسه، ص353.

[14]- المرجع نفسه، ص230.

[15]- المرجع نفسه، ص130.

والكلام عن لون كلب أهل الكهف ووصفه[16]. وعن عصا موسى من أي شجرة خلقت[17]. وعن طول سفينة نوح واتساعها، وأسماء الحيوانات التي حملت فيها[18]. وغير ذلك مما طواه القرآن الكريم، وسكت عنه رحمة بنا، لما فيه من مضيعة للجهد فيما لا فائدة ترجى من معرفته.

رابعا: عمدت الإسرائيليات إلى الآيات القرآنية التي تتحدث عن صفات الله وأحاطتها بهالة من التشبيه والتجسيم لله سبحانه وتعالى، ووصفه بما لا يليق بجلاله. والغريب في ذلك أننا نعثر على بعض عقائد اليهود والنصارى قد وجدت لها مكانا في ذلك.

وسنقصر على ذكر مثال واحد لنبين فيه مدى انزلاق بعض المسلمين في النقل عن عقائد النصارى وترديدها كتعاليم إسلامية صحيحة.

ذكر الطبري في تفسيره لسورة آل عمران بسنده "عن عكرمة عن ابن عباس، قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾، قال: "عيسى بن مريم، هو الكلمة من الله اسمه المسيح"[19].

وروى بسند آخر عن محمد بن سعد بسنده عن ابن عباس: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: الكلمة التي صدق بها عيسى، وكرر الطبري نفس الرواية مرة أخرى، وروى ابن عباس أنه قال: الكلمة هي عيسى"[20].

وروى عنه أيضا بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّا للَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ قال: عيسى هو الكلمة من الله[21].

تحوي هذه النصوص مزلقا خطيرا يتمثل في استخدام لفظ كلمة معرف بالألف واللام، فقال: الكلمة، وهو ما لم ينص عليه القرآن بمثل ذلك. ولا يجوز لمسلم أن يستخدم

---

[16]- الطبري، التفسير، ج15، ص136.

[17]- المصدر نفسه، ج9، ص11.

[18]- المصدر نفسه، ج12، ص22.

[19]- المصدر نفسه، ج4، ص172.

[20]- المصدر نفسه.

[21]- المصدر نفسه، ج4، ص182.

هذا اللفظ معرفا بشأن المسيح، أو أي مخلوق آخر، لأن التعريف يعني التعيين والتحديد، وتصبح الصفة مقصودة عليه مختصة به.

وما وقع فيه الأقدمون من مزلق في تعريف تلك الكلمة اتخذ ذريعة للمسيحيين بأن القرآن يصرح بألوهية المسيح ويثبتها. فتعريف هذا اللفظ مع استخدامه بصيغة التذكير يوافق عقيدتهم تماما في ادعاء الألوهية له، بناء على أول فقرة نص عليها إنجيل يوحنا "في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله"[22].

فالتعريف والتذكير واضحان صريحان، وهما شرط الاعتقاد بالألوهية له. ولذلك يعلق حسين يوسف الأطير على ذلك بقوله: «لا شك أن تورط ابن عباس في تزويد ذلك اللفظ معرفا، هو انحراف صريح من حيث لا يقصد ولا يعلم، والعجب الذي يعزز هذه الدعوة أنه الوحيد الذي انفرد بترديد هذ اللفظ معرفا بين الكم الهائل من أقوال الصحابة والتابعين والمفسرين الذي روى عنهم الطبري»[23].

ولتأكيد تلك الدعوة نجد الحديث عن سجود يحي υ للمسيح υ، فقد روى الطبري بسنده إلى جريج وابن عباس، في تفسير قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: "كان عيسى ويحي ابن خالة، وكانت أم يحي تقول لمريم، إني أجد الذي في بطني سيحسد الذي في بطنك، لذلك تصديقه بعيسى، سجوده في بطن أمه له، وهو أول من صدق بعيسى، وكلمة عيسى، ويحي أكبر من عيسى"[24].

إن هذا التعبير كما يضيف الأطير باطل تماما، فهو يطفح بالوثنية المسيحية القائلة بتأليه ابن مريم، من كان الحمل به أحشائها. وأصل هذه المقالة وارد في إنجيل لوقا.

وهذا النص وغيره من كتب التفسير يكشف إن صح السند عن الأخذ عن المصادر اليهودية المسيحية على عواهنها دون تمحيص وتدقيق.

---

[22]- إنجيل يوحنا، الإصحاح 1، فقرة 1.

[23]- البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام، ص139.

[24]- انظر بالتفصيل: الطبري، التفسير، ج4، ص172.

إذا كان للإسرائيليات هذا الدور الخطير، فإنها تطرح علينا جملة من التساؤلات تتمثل في كيفية تسرب هذه الإسرائيليات إلى القرآن الكريم؟ لماذا كانوا يترددون على أحبار اليهود لمعرفة أسرار بعض الآيات القرآنية؟

ما هو حجم مسؤولية من أسلم من اليهود في ترويج هذه الإسرائيليات؟ ولماذا رفعت إلى الرسول ﷺ؟ وما مدى صحة نسبتها إلى كعب الأحبار؟ ووهب بن منبه؟

اضطربت الآراء الإسلامية في الإجابة عن هذه الأسئلة، لاختلاف زوايا البحث حولها. فهو موضوع شائك لا يزال بين أخذ ورد، وبصرف النظر هذه الخلافات التي يتعذر استعراضها كلها في بحثنا هذا، فإن أغلب الآراء تكاد تجمع على الحقائق الآتية:

– انزلقت كتب التفسير المتعددة بما حوته من إسرائيليات، حتى لا يكاد يخلو منها كتاب تفسير. هذا إذا أخذنا في الاعتبار ذلك التفاوت الموجود بينها، بين معارض وساكت عنها، مع ما تطفح به بعض هذه الإسرائيليات من وثنية يمقتها الشرع ولا يقر به العقل.

– تقمصت هذه الإسرائيليات أفكارا يهودية نفذت إلى الفكر الإسلامي بخطة يهودية ماكرة عملت على تلويث هذا الفكر. وإن اختلف العلماء سواء الأقدمين أم المحدثين في تعديل وجرح رواتها، سواء كانوا من الصحابة أم من التابعين أم من اليهود الذين أسلموا. وذلك طبقا لاختلافهم حول مدى صحة ثبوت ونسبة هذه الروايات إلى أصحابها، إلا أن هناك شبه إجماع على أن أقوال الصحابة في التفسير هذا حكم المرفوع إلى النبي ﷺ وإن وضعوا لذلك شرطين متلازمين:

الأول: أن يكون مما لا مجال للرأي فيه، كأسباب النزول، وأحوال يوم القيامة، ونحوها.

الثاني: أن لا يكون الصحابي معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أي غير معروف برواية الإسرائيليات[25].

[25]- أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص79، نقلا عن ابن حجر، نزهة النظر شرح نخبة الفكر، ص43.

ويتضح من الشرط الثاني تحري الضبط والدقة عند المحققين من أئمة الحديث في طعنهم لمرويات إسرائيلية رويت عن بعض الصحابة، لأنها دخيلة على الرواية الإسرائيلية الأصيلة.

وتبعا لما سبق، تحاشى كثير من التابعين وعلماء الحديث الرواية عن بعض الصحابة الذين اشتهروا بترديد مرويات أهل الكتاب. ومن أدلة ذلك شهادة أبي هريرة لعبد الله بن عمرو بن العاص، بأنه كان أكثر مادة في الحديث منه، لأنه كان قارئا كاتبا، وبالمقابل فإن هذه الأفضلية التي أقر بها أبو هريرة للصحابي الجليل، جاءت مرويات عبد الله بن عمرو بن العاص أقل من مرويات أبي هريرة، والسبب في ذلك كما يشير بعض الباحثين إلى أن عمرو بن العاص كان بحوزته كتب من أهل الكتاب تبلغ حمل بعيرين، تحصل عليها من موقعة اليرموك، فمن ثم تحاشى بعض الرواة الرواية عنه خشية أن تختلط عليه الروايات[26].

ولهذا لا نكاد نجد في أي دين من الأديان ولا مذهب من المذاهب مثل هذه الدقة والتحري للأسانيد والآثار، خاصة إذا تعلق الأمر بأحاديث رسول الله ﷺ

– إن كتب التفسير التي تُعزى إلى الصحابة والتابعين، أكثر من أن تُحصى، ففيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وقد أضيفت إلى الكثير من هذه الكتب الإسرائيليات التي تحوي على خرافات اليهود وأباطيلهم، تراكمت فيما بينها لتشكل مادة ضخمة ينبغي علينا أولا تمحيصها بمعرفة الصحيح والحسن منها، وطرح ما يتعارض مع العقائد الإسلامية.

– أثارت قضيةُ عدالة وتجريح الذين أسلموا من اليهود أمثال كعب الأحبار، ووهب بن منبه جدلا واسعا احتدم حولها نقاش حاد بين المفكرين المسلمين، سواء منهم الأقدمين أم المحدثين، إلا أن هناك إجماعا أنهم كانوا جسرا عبرت منه أخبار اليهود ومروياتهم في الفكر الإسلامي، ولو أن هذه الأخبار نسبت صراحة إلى هؤلاء لهان الأمر، لأنها تعزو ذلك إلى

[26]- المرجع نفسه، ص80.

التوراة، لكن خطورتها تكمن في أن أكثرها ينسب إلى الصحابة. والأخطر من ذلك كله أن تلحق مباشرة بالرسول ﷺ.

وتبعا لهذه الخطورة وما تحمله من معتقدات فاسدة نميل إلى رأي أشهر المحققين المتأخرين بداية من ابن خلدون[27]. مرورا بالشيخ رشيد رضا[28]. ونهاية بالشيخ الذهبي، وأنه آن الأوان لتنقية تراثنا من هذه الأدران لخلوها من أية فائدة تذكر، ووجدنا من بين العلماء المتأخرين من يرى أن من الخير للمفسر أن يتحاشى الروايات الإسرائيلية ويجنب بذلك كتاب الله هذا الذي لا نعرف إن كان صدقا أو كذبا، وحتى وإن استند البعض إلى حديث رسول الله ﷺ في جواز رواية أخبار بني إسرائيل، فإن ذلك مرده الاستشهاد وليس الاعتقاد. وبالإضافة إلى ما ذكره محمود شاكر «من أن إباحة التحدث عنه فيها ليس لنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولا أو رواية في معنى

الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك»[29].

وإن جهد ابن خلدون في العثور على أعذار للأقدمين في تناول هذه الإسرائيليات، لأن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية فاستهوتهم هذه المرويات وتشوفوا إلى معرفة قصة الخليقة[30] وكنه الوجود، فكانوا يسألون عنها أهل الكتاب، لإشباع نهمهم الفكري. أما في عصرنا هذا فالحال يختلف ولا عذر للمسلمين في ذلك، بعد أن كشفت دسائسهم من جهة، إذ علمنا بأن عددا هائلا من هذه المرويات لم تنص عليه الكتب المقدسة، التي أضحت في متناول الجميع من جهة أخرى.

---

[27]- ابن خلدون، المقدمة، (بيروت: دائر الرائد العربي، ط5، 1402هـ/1982م) ص439، 440.

[28]- رشيد رضا، تفسير المنار، (بيروت: دار المعرفة، ط، د.ت) ج1، ص9.

[29]- محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص160، 161، نقلا عن: عمدة التفسير، ج1، ص15.

[30]- ابن خلدون، المقدمة، ص439، 440.

هذه هي جوانب الخطورة على قدسية القرآن الكريم وعقائد المسلمين من رواية الإسرائيليات، وإن كان أعظمها على الإطلاق هو ارتباطها الوثيق بالتفسير. إن أغلب كتب التفسير سواء ما كان بالمأثور حرفا، أو غلب عليه المأثور، أو كان بالرأي أو الاجتهاد، لم تكد تخلو جميعها من الإسرائيليات الملفقة. والأحاديث الموضوعة.

وقد كان أبو إسحاق النظام يقول: «لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين، وإن نصبوا أنفسهم للعامة، وأجابوا على كل مسألة، فإن الكثير منهم يقول بغير رواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم»[31]. وذكر منهم الكلبي. وصاحب التفسير الأخير ينتمي إلى الحركة السبئية باتفاق[32].

وقد بلغت الخطورةُ ذروتها في هذا الشأن حين يدق ناقوس الخطر شيخ الأزهر الذهبي فيقول: «لا أكون مبالغا ولا متجاوزا حد الصدق إن قلت: إن كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات، وإن كان ذلك يتفاوت قلة وكثرة، وتعقيبا عليها وسكوتا»[33].

يتضح مما سبق بأن الإسرائيليات مشروع خطير، باشرته أياد بعض الأحبار اليهود لإثارة البلبلة حول قدسية القرآن الكريم والحديث النبوي، بما حواه من أباطيل وخرافات نسب الكثير منها إلى الرسول ﷺ وإلى أصحابه ψ، بهذا تكدست مادة غزيرة من النصوص التوراتية، والروايات اليهودية، وترسبت داخل الفكر الإسلامي منذ القدم، ولا زال هذا الفكر لم يتخلص منها بعد.

---

[31]- الجاحظ، الحيوان، ج1، ص343.

[32]- سليمان بن حمد العودة، عبد الله بن سبأ ص227.

[33]– الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص95.

إننا نتفق مع أبي شهبة في نقده لمقولات كعب الأحبار وغيره، لأنها من الإسرائيليات التي معظمها مبدل أو محرف، ولا حاجة للمسلمين مع خبر الله تعالى ورسوله إلى شيء من هذا بالجملة، فإنه دخل فيها على الناس شر كبير وجر عليهم البلاء[34].

خلاصة القول إن الإسرائيليات نسبت إلى الصحابة الذي أسلموا، وقد يكون سبب ذلك للعلم بما فيها من غرائب وعجائب، ولم ينبهوا إلى بطلانها اعتمادا على تجلي ذلك فيها. وقد يكونون قد أشاروا إلى كذبها وعدم صحتها، ولكن الرواة لم ينقلوا هذا عنهم. والغالب أنها قد تكون مدسوسة على الصحابة من قبل اليهود. وأما ما يحتمل الصدق والكذب منها وليس فيه ما يتعارض مع النقل المتواتر الصريح أو بديهيات العقول، فأوردوه بما فهموه من الإذن لهم في روايتها. وهذا النوع أقل خطورة من الأول. ومع هذا فإنه لا فائدة تذكر من الاشتغال به لأنه يحجب جمال القرآن وتفسيره الصحيح.

مراجع البحث:

- الإسرائيليات في التفسير والحديث، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1990م).
- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ج1، ص212.
- الطبري، التفسير، ج3، ص30.
- يوسف الأطير، البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام، (القاهرة: مكتبة الزهراء، ط1، 1412هـ/1991م).
- محمد إبراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، (القاهرة: دار التراث، ط1، 1982م).
- السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص281، 282
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، 1393هـ/1973م) ص353، 356.
- صفوت حامد مبارك، بحوث في الأديان، (القاهرة: محطة المطبعة بالحرم، د.ط، 1986م).

[34]- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص148.

- أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير
- بن خلدون، المقدمة، (بيروت: دائر الرائد العربي، ط5، 1402هـ/1982م) ص439، 440.
- رشيد رضا، تفسير المنار، (بيروت: دار المعرفة، ط، د.ت) ج1، ص9
- الجاحظ، الحيوان، ج1، ص343.
- سليمان بن حمد العودة، عبد الله بن سبأن ص227.
- الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص95.
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص148.